مفتاح
الفتوحات المكية

تأليف
العلامة القاضي سيدي
أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي

إعداد
ذ محمد الراضي كنون
الحسني الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وآله وصحبه وسلم

مفتاح

الفتوحات المكية

للشيخ سيدى احمد سكيرج

الحمد لله الذى فتح أبواب القبول في وجه من أقبل عليه، وأدخل لحضرات الوصول من سعى اليه، وأن ليس للانسان الا ما سعى، وأسعيه سوف يرى، خلق فهوى كما جرى به علمه لكل فرد من الورى، سواء كان من الحيوان الناطق، الناطق باللسان، أو الناطق بلسان الحال، وما في الخلق صامت

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

ولقد دعانا فأجبنا، ولا يمكن لمخلوق عدم الاجابة، فان الكل ممتثل في حالتي الخطأ والاصابة، وربك يفعل ما يشاء ويختار، لا اله الا هو، وما كسبنا الا موهبة منه، فعمل بمقتضاه العبد الحقاني، فلا جبر ولا ارجاء عنده، وان كان ثم شيء يتوهمه من لا تحقيق لديه، فيما يراه قبله وبعده، وانا لله وانا اليه راجعون، بعمل وبغير عمل مسوقون اليه، بحبل اتصل بعروة دائرة العلم من أول الايجاد، الى الوقوف عند انبرائه بلطيفة الامداد. وأنى لمثلنا أن يفصح عن مكنون ما هو تحت مخدع (يوم يكشف عن ساق) ونحن في دار الدنيا ما لنا اختيار في حضرة التقييد، ولا في حظيرة الاطلاق، ولا حول ولا قوة الا بالله فيما انتهجنا فيه المنهج المأمور بسلوكه، وما انتهزنا فيه الفرصة باعطائنا للبشرية فوق حقها لجهلنا بالعاقبة التي ترتعد الفرائص من العارف بتجلي النداء من جانب طور سينا قول الحق (قل كل يعمل على شاكلته) به (وما ربك بظلام للعبيد) والعبد المطيع لا يتظلم من فعل المالك له، ولربما أغمي عليه، فيظن أنه مستحق لما هو خفي عنه من الحقيقة التي هو لا يخرج عنها بحال، وتكون عليه من الحجج التي تشهد له في المآل، ويذعن عندها في الاستقبال. جعلنا الله ممن حقيقتهم مظنة السعادة مقدرة، وبفضل الله زجاجتها منورة، فنكون بمراد الحق على وفق علمه من السعداء، وهو على قدير:

وما على شيء في اجابته لنا ونحن له من أفقر الفقرا

دعا فكنا له كما أراد وما زلنا على وفق ما أراد وهو يرى

فسبحان من عليم مريد قدير، وان كنا على ما نحن عليه في غاية التقصير، فنرجو أن لا يواخذنا بالاعتراف بالاقتراف، ولا يجعله في حيز الجراة منا في جانب

جانب انحياشنا لظل الألطاف، ولله الحمد في الآخرة وفي الأولى .

أما بعد : فقد هبت على خديم الحضرة المحمدية ، أحمد سكيرج غفر الله له ولوالديه وأولاده ، وبقية أحبابه ، نفحة احسانية ، من الفتوحات الربانية ، ما لا أحصي ثناء عليه ، عجزا مني عن الوفاء بشكر ما منه واليه . فكان من نتائج ترادف المواهب اللدنية ، على علمي باصطلاح السادة الصوفية ، ولله الحمد على هذه النعمة الخفية الجلية ، غير أني ـ وان أعطيت لسان التعبير ـ فاني لم أوفق الى الآن الى ما يكشف الران عن قلب أهل النكير ، وكلما حاولت كشف ذلك عن البعض لم أجد منه قابلية فيما ينظر اليه بعين البعض ، فعلمت سر الحق ، في ستر أسراره عن غير المستحقين ، فلا يرى المبطل منها وجه الحقيقة متبسما كما يراه المحق ، غير أني دعيت الى تقريب ما نأى عن فهم الطالبين ، لما انطوى عليه كتاب الفتوحات المكية من اصطلاح فلا يبقى لديهم به اصطلاح ، في حال الغدو والرواح ، والتنزه في روضات نعيمها الذى به حصل لصدور الصدور منهم كمال الانشراح . فلقد تلقيناها بالمناولة والاجازة فيها عن شيخنا العارف بالله سيدى ومولاى أحمد العبدلاوى التجاني طريقة ، الراوى فيها من عين الحقيقة سرا ، لولا نظرته ما كدت أن أحمله ، ولا أن أطيقه ، فقد أخبرني رضي الله عنه ، أنه كان يحفظها عن ظهر قلب ، فكان من سر نظرته في حضرته تحصيلي لاصطلاح الشيخ الأكبر فيها ، وفي تآليفه (عنقاء مغرب) ما كدت أن أنفرد به في عصرنا هذا ، ولله الحمد ، حيث أني لم أر من توفر لديه ما توفر لدىّ ، ولست بمتجرئ على انكار تحصيل الغير ممن لم أجتمع به أكثر مما حصلته ، فان الفضل بيد الله . ولطالما عقدنا اجتماعات من بعض الاحباب ، ممن ذاقوا حلاوة المذاكرة في بعض أبوابها ، ولم نطرق منها بابا الا وأجابنا من داخله كاشف الحجاب ، بايجاز واطناب ، ولم نردّ عليه جوابا ، حيث لم نر منه الا صوابا . منهم شيخنا العلامة الرئيس سيدى الحاج عبد الكريم بنيس ، وهو الذى يدير علينا كؤوس السرور ، من رحيقها المختوم ، في المنثور منها والمنظوم ، وربما حضر معنا في منازه التنزهات ، ومنازل النزهات ، من شربوا معنا رحيق المعنى ، في ما شيد منها من غير قصور عندنا من قصور المبنى ، ممن يطول بنا ذكر أسمائهم ، ولا ينبغي سردها من غير تنويه بشأنهم ، وذلك يقضي ببسط تراجمهم الطويلة الذيل ، فنقتصر على المقصود هنا بما نقضي به واجب الاجابة لداعينا اليه ، فقد قيل لي :

أدّ الامانة للداعي فأنت اذا كتمتها عنه لا تزال مسؤولا
وأنت دون سؤال نلت سؤلك يا هذا فلم لا تنيل غيرك السولا

فأجبت الداعي ، بما أطلت فيه باعي ، ولا أدعي أني أعربت عن جميع ما هو في دهليز الأسرار التي أخفى عن المطالع اصطلاحه فيها ، ولا أني أتيت بشيئ جديد خارج عما ذكره فيها ، الا ما كان من بعض الواردات عليّ مما بحث

بحت به بدعا ، وفارغة عن هوى نفساني ، أو دواع صادرة عن نفس رحماني

ولیس هذا ببدع من البديع الحكيم

ان خص عبيدا ضعيفا منه بفضل عظيم

ولم آت فيما أتيت به الا بما اقتبسته من مشكاته ، غير شارح لما أشكل ، أو شافيا لمعضل . وها أنا ذا أسعى ما شرح الله صدري لكشف الحجاب عنه ، بمفتاح الفتوحات المكية ، نفع الله به من نظره بعين القبول ، ليقبل عليه منها وجه المعقول ، متبسما بما يوافق المنقول ، فان غير المقبول من مطالعيها لا يتوصلون لما فيها ، وان كرر العبارات ، وقرر الاشارات . وأقبح شيء ممن يدعي العلم ويسارع لانكار شيء لم يصل اليه علمه ، ويحمل على كاهله سبة الجهل بين من يعلمون الحقيقة ، وهو جاهل لها في أوضح طريقة ، وسيفتح عينه ما أذكره له ، ليشاهد من أنوارها ما لا يراه الخفاش في تشعشع نور شمس المعرفة في صحو نهارها ، بين خلال أعلامها المرفوعة ولا أقترح عليه سوى الشاني في ترك الاعتراض عليّ ، والاعراض عني ، فانى لم آل جهدا في تبليغ ما عرفته ، ومن بحرها غرفته ، وأجره على الله في الدعاء لي بالمغفرة ، ولم مثل ما دعا به بتأمين الملك الذى نحن متحققون بالدعاء منه له بذلك ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الكلام فيما قيل

في كتاب

الفتوحات المكية

قد حذر جماعة من أعلام الأمة من مطالعة هذا الكتاب على حسب ما لديهم ومبلغهم من العلم ، وهم أصناف ، منهم المبغض لمؤلفها بما وقر في صدره من بغض في الله ــ حسب زعمه ــ بأنه ضال مضل ، فأبغض مؤلفاته التي منها هذا الكتاب ، وقال بتحريم مطالعته للخصوص ، فضلا عن العموم ، وهو فيما صرح به على رؤوس الاشهاد ، اما لجهله ، وهو الظاهر ، حيث انه لم يعرف اصطلاح الشيخ الأكبر في هذا الكتاب ، وفي غيره ممن تسوروا على حضرته بالاستطلاع على ما في داخلها ، من غير الدخول لها من أبوابها المفتوحة في وجه الأحباب ، فعمل في بغضه له بمقتضى جهله حيث لم يفهم ما قاله لعدم معرفته باصطلاحه ، فلم يقبل أى شيء في حقه لمخالفته بظاهره لما لديه من رسومات التفقه في الدين ، مما لو كان عارفا بما انطوت عليه الشريعة التي عرف منها المجتهدون ما لم يكن محصورا في مذهب ما تجرأ على أن يمس به هذا الجناب الأرفع عن نباح الكلاب ، وقد قيل في حق مثله :

ما ضر شمس الضحى في الأفق تنبحه سود الكلا وقد مشى على مهل

واذا كان لعلم الظاهر وآلاته الموصلة اليه له اصطلاح خاص بأهله في تحصيل

تحصيل قواعده القاطعة فيه لحال الشكوك القوية والواهية، فلعلم الباطن المعبر به على الأسرار والحقائق العرفانية عند العارفين اصطلاحات لا ينازعهم فيها غير الجاهل الجهل المركب، الراكب في بحر الحقيقة شر مركب، وما كان من حقه أن يخوض، لا بنفي ولا باثبات فيما خاض فيه الثقات الأثبات:

وما كل علم عند من كان عاقلا يحصله بالعقل من كان ذا عقل
ولا بد من شيخ يفهم كل من يريد به الاخراج من ربقة الجهل

ولقد خاض في علم الأكسير قوم من غير معرفة اصطلاح أهله فيه فضاعت أعمارهم وأموالهم، وأصبحوا في حيز من ينفيه لعلمهم بجهلهم بما ينافيه، وقد قال بعض علماء الفن:

للقوم خل ثقيف يعملون به وملحة بدقيق الفكر قد كسبت
ليس الزرانيج والكبريت بغيتهم ولا زيابقهم تباع ان طلبت

وهاكذا ما أطلق عليه علم الباطن، وما عند قومه في غالب الالفاظ التي يعبرون بها عن مقاصد هم فيه، ولا تفي عبارة ولا اشارة لغير العارف باصطلاحهم فيه، فتقوم قيامته على فهمه في الحقيقة، لا على فهمهم، فهم في واد، وفهمه في واد، وعلى نحو ما تقدم قلت:

للقوم علم صحيح يعملون على ما تقتضيه اصطلاحات لهم عرفت
ليس الحلول ولا معنى اتحادهم تدريه نفس مع الالفاظ مذ وقفت

ولو أنصف العالم الذى يعلم حقائق الاشياء، ويعرف الأشياء على ما هي عليه في الواقع، ولم يكن لديه علم باصطلاح القوم لترك الاعتراض، وتعزيق الاعراض، بكل مقراض، بعد ما طالع كتب القوم، ولم يحصل منها الا ما خالف ما عنده، وخاف على من طالعها بعده، أن ينصح من غير تكفير القوم ولا تضليلهم، لا في اليقظة ولا في النوم، ويقول:

أيها القوم اننا قد قرأنا هذه الكتب في طريق الصلاح
فوقفنا فيها على ما ينافي ما لدينا للجهل بالاصطلاح
فاحذروا من وقوفكم دون علم مستقيم على الخطاء الصراح
فتظنوا بأنه هو حق وهو بالحق باطل باتضاح
واعلموا أننا على الحق فيما لكم قد قلناه دون جناح
واذا أخطأ المؤلف في علم فترك الخطا دليل الرباح
نحن لا نبتغي انتقاد صواب سيما من ذويه أهل النجاح
غير أنا نبدى النصيحة للناس الألى يذعنون للنصاح
فاعملوا بالذى نقول وقولوا كتب القوم جوها غير صاح
فاحذروا أن تخالفوا الحق فيما قد قرأتم منها بلا اصلاح
ربما أخطأ المطالع فيها ان يكن غير عارف باصطلاح
وقليل ممن يطالعها ينجو ولو كان عالما ذا فلاح

فاذا

فاذا كان هذا العالم الذى وقف على خطأ القوم في بعض المسائل التي تكلم عليها علماء الحقيقة من الصوفية ، وفي مقدمتهم الشيخ الأكبر ، فانه لايجمل به أن يبادر بالانتقاد ، وافساد قلوب ذوى الاعتقاد ، بل يتعين عليه أن يبقى على الحياد ، أو ينبه على ما ظهر له من اصلاح ، حسبما فهمه ، حتى لا يكون من أصحاب العناد ، ولا يتظاهر بعداوة أهل الله منهم فيما لم يحط به علما . وهب أنه على علم ، أليس فوق كل ذى علم عليم ؟ ولقد زاحم في التشرف برجال الأمة المحمدية بنسبة ابن العربي ونظائره ونظرائه اليهم ، فادعى المتبجحون من اللبنانيين أنه منهم ، وافتخروا بابن الفارض أنه من حزبهم ، وليت القوم عرفوا مقدار فلاسفة الأمة ، فلم يدعوا مجالا لغيرهم في التفاخر بأنهم منهم ، ونحن لا نوافقهم على ما قالوه أو تقولوه ، وان كان المبغض لهم يسره ما نسبه لهم الأعداء والحساد ومن على شاكلتهم من ذوى الانتقاد . وممن حذر من مطالعة كتب الشيخ الأكبر حساده المعاصرون ومن بعدهم ممن هم على شاكلته ، فقد قصر باعهم عن تناول ما أثمرت رياض تلك المؤلفات البديعة التصنيف ، العجيبة الترصيف ، فأطالوا لسانهم في قرض عرضه بما افتضحوا به في حضرات الأعلام ، الناشرين للمعارف الأعلام ، من عصره الى الآن ، فقالوا وتقولوا عليه ، ودسوا في تلك المؤلفات الفائقة ما برأه الله منه . وكل من عرف اصطلاحه يتحقق بأن ما نسبوه له انما هو مجرد فهم الناقص مما يصدق عليهم قول القائل :

وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم

على أننا لا نحط من قدر جل جلتهم ، بكونهم لا يعرفون العلوم التي خاضوا فيها ، ولكن لا يلزم من تحقيقهم لفنون أن يحققوا غيرهم ، وهم هنا ـ بلاشك ـ يجهلون اصطلاحه ، ولا يلزمه ما ألزموه بحسب فهمهم ، ومدارك علمهم ، وقد قال فيه الفيروزابادى صاحب القاموس في اعتقاده فيه :

وما علىّ اذا ما قلت معتقدى ... دع الجهول يظن الحق

والله والله والله العظيم ومن ... أقامه حجة للدين برهانا

ان الذى قلت بعض من ... ما زدت الا لعلي زدت نقصانا

وممن حذر منها جماعة لم يبلغوا شأوه فأرادوا التظاهر بما لديهم من العلم فأنكروا عليه ليستلفتوا أنظار العامة اليهم باطلاق نار عيارتهم عليه ، لتستك الآذان من سماع عباراتهم ، التي تنوعت بتنوع أغراضهم ، فوقفوا حجر عثرة في نهج المقتفي أثر الصوفية أمام المؤتمين بالشيخ الأكبر ، المصلى في محراب المعرفة بالله ، المقبل بوجهه عليهم في الاعراب عن لطائف المعارف بما يشفي الصدور ، وأبى الله الا أن يرغم أنوف المنتقدين عليه ، بالزيادة في جزب أحبائه ، الغارفين من بحر عرفانه ، منذ أظهره الله بالمظهر الذى ظهر به من الختمية وغيرها ، فقصرت عن مداركه أرباب

الوصول

الوصول ، فضلا عن أصحاب العقول :

وما كان الا أنه فاق فيهم على غيره ممن ترقى على العلا
فطأطأ أهل الفضل هاماتهم لم خلافا لقوم يحسدون ذوى العلا

وما قلناه عنه وعنهم في هذا المقام ، لا يحتاج فيه الى زيادة كلام ، فهو بينهم

يتيمة دهر ليس يقدر قدرها سوى عارف يدرى النفيس من الدر
اذا ما رآها احتار في القيمة التي تساويه مما اختاره في ذوى القدر

وها نحن شارعون فيما شرح الله اليه صدرنا من افادة من أراد الاستفادة ، لينتفع بذلك ، بشرط الدعاء لنا في ظهر الغيب ، طبق الاقتراح المتقدم ، والا فالعهدة عليه اذا لم ينتفع بما منا تعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ممن لا يشكر النعمة المسداة اليه ، ولا يعترف للوسائط فيما به الحق عليهم تكرم ، وقد قيل :

اذا أفادك انسان بفائدة من العلوم فلازم شكره أبدا
وقل فلا جزاه الله صالحة أفادنيها وألغ الكبر والحسدا

الكلام على خطبة

الفتوحات المكية

قد اعترف الشيخ الأكبر في أول هذه الرسالة بعد حمده للحق ، الموجد للخلق ، بالحيرة فيه ، فأنشد :

الرب حق والعبد حق يا ليت شعرى من المكلف
ان قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

بعد قوله (حمد عبد علم أنه سبحانه علا في صفاته ، وعلى وجل في ذاته ، وأن حجاب العزة دونه سبحانه مسدل ، وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل ، ان خاف عبده فهو المسمع السميع ، وان فعل ما أمر بفعله ، فهو المطاع المطيع) الخ . ثم قال عقبها (فهو سبحانه يطيع نفسه اذا شاء بخلقه ، وينصف نفسه بما تعين عليه من واجب حقه ، فليس الا أشباح خالية ، على عروشها خاوية ، وفي ترجيع الصدى ، سر ما أشرنا اليه لمن اهتدى) ونحن وان كنا في أقصى درجات القصور ، عن الوصول لأدنى ما شيده الشيخ في تحقيق المعارف من القصور ، فنفتح الباب على مصراعيه في هذا المضيق للدخول ، بمن فتح الله بصيرته لقبول ما يلقى اليه في حضرات الأسرار من الواردات ، التي لا تحك على معيار الايرادات والردودات . وقد تكلم على هذين البيتين من أجلة الأعلام ، بلسان بذوب حياء قلب المصغي الى ما أعربوا به عما يخامرهم من جلال واجلال لمقام الشيخ الأكبر ، تنويها بقدره في فهم كلامه ، واعطائهم لمقامه ما يستحق من احترامه ، فقال أبو سالم العياشي في رحلته ما نصه بعد كلام : وأول ما أنشده الشيخ محي الدين في الفتوحات ببيتين ذكرهما في خطبة الكتاب ، وهما :

الرب رب والعبد عبد يا ليت شعرى من المكلف
أن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

وذيلهما شيخ شيوخنا العارف بالله أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي بقوله :

نعم بحق اثبات عبد لنعت فرق معه يكلف
والعبد ميت بغير رب لسر عون منه مكلف

قلت : وصدر البيتين اللذين أنشدهما أبو سالم رحمه الله هنا مخالف لنص ما هو مذكور في الخطبة ، فجعل خبر الرب وخبر العبد الذى هو رب وعبد في محل قوله (حق) في خبر الرب والعبد ، وبين ما وقع الخبر به في نقله وما وقع الخبر به في نص أصله فرق عظيم من جهة النظر ومن جهة الذوق فان الحق المخبر به عن الرب غير المخبر به عن العبد ، لما تقرر أن النكرة اذا أعيدت نكرة كانت خلاف الأولى في الغالب . والحيرة من الشيخ الأكبر تمت بتعبيره بالخبر الذى هو حق فيهما بخلاف ما وقع التصريح به في قوله (الرب رب والعبد عبد) حسب نقله ، فلم يقع في هذا جمع في الخبرين بالحقية وبيان الفرق العظيم واضح في قول الرب رب والرب حق ، والعبد عبد ، والعبد حق ، وقد تطفلت في رفع موجب الحيرة في الجملة بقولي :

العبد عبد بدون شك فكان حقا هو المكلف
وقبل موت قد كان حيا حياة روح بها تشرف

وقلت في ذوق آخر :

العبد يفنى والرب باق والرب رب أنى يكلف
والفرق باد للعبد حقا وقبل موت هو المكلف

ثم قال أبو سالم في الجزء الاول من رحلته صحيفة 359 عقب تذييل شيخه كلاما ، فليراجعه من أراده .

وقد أعاد المؤلف ــ قدس سره ــ الكرة في غير ما مرة على مضمن هذين البيتين في فتوحاته . ففي صحيفة 225 كلام يكاد أن يكون شرحا لهما ، ان لم يزدهما غموضا . وفي صحيفة 694 من بقية الجزء الأول منها بما يتبين مقصوده منهما ، والله تعالى أعلم اهـ

وهاهنا مفتاح لقفل سر اعتراف الشيخ الأكبر هنا في خطبته يفتح به خزائن الأسرار في وجه من ألقى السلاح في ميدان ادعاء الكمال في العلم ، مع أن العلم الحادث بجميع أنواعه وفروعه ناقص عن درجة الكمال ، لأن الكمال انما هو للعلم القديم . فباعترافه بالحيرة يستحق الزيادة مما به يتفوق على الغير من سائر العلوم التي خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بها في حضرة (وقل رب زدني علما) فكان خطابه بذلك لكل فرد من أمته ممن علم ذلك أو جهله . ولما بلغ صلى الله عليه وسلم لغاية ما يدندن حوله ورثته من النبيئين والمرسلين ، وكافة العارفين قال عليه السلام (زدني

فيك

فيك تحيرا ، وعلى لسانه يقول سلطان العاشقين :

زدني بفرط الحب فيك تحيرا   وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

وهاكذا شأن كل عارف، فانه يعترف بالحيرة عند ما ترسخ قدمه في المعرفة بالله، كما وقع للعارف الجيلي ، فانه لما تعرض للكلام على الذات الأقدس، واحاطة العلم الانفس، قال :

أأحطت خبرا مجملا ومفصلا   بجميع ذاتك يا جميع صفاته

أم جل وجهك أن يحاط بكنهه   فأحطته أن لا يحاط بذاته

حاشاك من ذى وحاشا ان يكن   بك جاهلا وبلاه من حيراته

وقد ورد علينا وارد في جوابه فقال :

العلم بالمحسوس ليس كعلم ما   هو غير معقول فكل صفاته

واحاطة المحسوس ليست عندنا   كاحاطة المعقول في مرآته

فبدا انفكاك احاطة محسوسة   من غيرها للعقل في حيراته

وقلت عن وارد :

علم القديم منزه عما يكيفه الحديث به لرفعة ذاته

واذا تنزه عن تكييفه لدى   كل الورى فكذاك كل صفاته

واذا الاحاطة لم تكن معلومة   للخلق طار العقل من حيراته

ثم تعرض الشيخ الأكبر في خطبة الفتوحات بعد الصلاة على سر العالم صلى الله عليه وسلم لما شاهده عند انشائه لها في عالم حقائق المثال ، فذكر من جملة كلام منوط بالحضرين معه في ذلك المشهد المحمدى (1) الزمردة البيضاء قد أودعها الرحمن في أول الآباء ، وانظروا الى النور المبين . وأشرت الى الأب الثالث الذى سمانا مسلمين ـ يعني ابراهيم ـ وانظروا الى اللجين الأخلص، وأشرت الى من أبرأ الأكمه والأبرص باذن الله ، كما جاء به النص ـ يعني عيسى ـ وانظروا الى حمال حمرة ياقوته النفس، وأشرت من بيع بثمن بخس ـ يعني يوسف عليه السلام ـ وانظروا الى حمرة الابريز ، وأشرت الى الخليفة العزيز ، وانظروا الى نور الياقوتة الصفراء في الظلام ، وأشرت الى من فضل بالكلام . فمن سعى الى هذه الأنوار ، حتى وصل الى ما يكشف طريقها من الأسرار ، فقد عرف المرتبة التي لها وجد الخ . ونحن لا ندعي أننا وصلنا الى ما يكشف طريق تلك الأنوار التي أشار لها . وان ذكر مفتاح قبل الباب ، في سدل الحجاب ، عمن ذكر وصفهم من الأنبياء عليهم السلام ، طبق ما صرحنا به سمائهم هنا ، وقد سعينا بقدر الامكان الى الاحراز على تلك الأنوار ، لنقتبس منها جذوة نور أو نار ، نهتدي بها في غياهب الأسرار ، مكننا الله منها بمنه وكرمه آمين . وهنا ورد علي الوارد فقال ، تبعا لنفس الشيخ الأكبر في ترك التعرض

---

1 ـ هنا يوجد بتر بالمسودة

التعرض لما ضرب عنه صفحا ، خشية وضع الحكمة في غير موضعها :

يا وارث السر لا تبح به فلقد — أحرزت مفتاح سر السر في سر
فاكتمه عمن به راموا التبجح في — جهر به بين من لا قوه بالنكر
وان وجدت محل القابلية في — من فيه أهلية فامنحه بالسر
فالسر يدفع عنه غير صاحبه — فلا يهمك أن تبوح بالسر
أعدى الأعادى الى الآباء من جرحوا — منهم عواطف بالانكار وبالجهر
لو لم يكن من بني الأخيار من حجدوا — أسرار آبائهم لم تلق ذا شر
فقلما نفع الأخيار غيرهم — فكيف يرجى انتفاع من بني الشر
فالسر سر حقيقي في ذويه وقد — يصير شرا اذا لم يحظ بالشكر
ونحن نحنو على الأسرار خشية أن — تشيع بين ذوى الكفران في الدهر

وبعد ما فرغ من هذا المشهد الذى أبرق فيه وأرعد أتى برسالة كتبها بعض الفقراء رضي الله عنه ، وهذا البعض ـ فيما يظهر ـ هو الشيخ الأكبر بنفسه ، وقد حكى رحلته الى مكة ، و زيارة القبر الشريف وخليل الرحمن ، وبيت المقدس ، بعد فراقه لرفقائه الأربع الذين عبر عليهم بالاركان التي قام عليها العالم والانسان ، فأعرب بهذا عن نفسه ، وهو رابعهم أنهم كلهم أوتاد الكون ، في مخدع الصون ، الذى فتحنا بابه بمفتاح السر :

اذا أخبر الشخص عن نفسه — وما غاب في ذاك عن حسه
فان الذى قال لم ينفه — سوى حاسد ضل في حدسه
وما ثم معنى لانكار ما — به المرء أخبر عن نفسه
ومن شاهد الأمر متضحا — فلا لوم يلقاه في درسه
ومن لامه في جميع الذى — به باح لم يجن من غرسه
فما انتفع المنكرون بمن — أقاموا النكير على جنسه
فاياك والخوض مع منكر — فمنكره قام في رأسه
ومن تبع المنكرين فقد — أعان اللعين على نفسه
ولله قوم بتسليمهم — أحلهم الحق في قدسه
فكن ذا حياد اذا لم تكن — حليف اعتقاد لذى أنسه

ثم سمى كتابه (برسالة الفتوحات المكية ، في معرفة الاسرار المالكية والملكية) بعد أن أهداها لمن سماهم ، نرجو أن نكون منهم . وهذه الرسالة أكبر رسالة وقفنا عليها من كتب العارفين ، وقد كان شيوخنا يقولون : ان سلطان العاشقين ابن الفارض وجه تائيته الكبرى للشيخ الأكبر ليشرحها ، فأجابه ، بأن تأليفه رسالة الفتوحات المكية شرح لها . وحكى المقريزى في ترجمة ابن الفارض أن الشيخ محيي الدين بعث اليه في شرح التائية فقال : كتابك المسمى

المسمى (بالفتوحات شرح لها)اهـ.كما بلغنا أنه لما أتمّ تصنيفها وضعها على سطح الكعبة المشرفة سنة فلم تتغير بشيء حيث قال : اللهم ان كانت خالصة لوجهك ،فاحفظها بفضلك ،فحفظها الله ،وهنا صدح بلبال القريحة في روضة الشكر،مرددا بنغمات السكر،هذه الأبيات :

انـي سلكت محجة المتناهي — بالله حتى لم أكن بالـلاهي
وعرفت أن الحق وفقني لها — لـولاه لم أدر الحقيقة ما هي
لا أدعي أني أحطت بعلمها — حتى أكون على سواى أباهي
لكنني لازمتها وحمدت من — لم يهدني فيها لغير الله
الله أكبر فالنبي محمد — هو مرشدى صلى عليه الاهي
وبحبه قد نلت منه مقاصدى — ومقاصدى عندى بدون تناهي
منها أراه آخذا بيدى — في كل الأمور الى لقاء الله
وأمدني مددا به استكفيت عن — زيد وعمرو من ولاة الجاه
وعرفت أني أفقر الفقراء — في كل الأمور حقيقة لله
لا شيء لي معه أطالبه — به فأكون عبدا جاهلا بالله
والجهل بالله اكتسبت به — حلى قد صيرتني عارفا بالله
وعليّ عهد الله أني لم أزل — عبدا يراعي حق عهد الله

الكلام على باب فهرست
أبواب الكتاب بفصوله الستة

قد سرد المؤلف ـ قدس سره ـ في هذا الباب عدد ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الأبواب ،مع بيان موضوع كل باب منها تحت فصولها الستة التي هي الفصل الأول في المعارف ،وعدد الأبواب فيها ثلاث وسبعون ،والفصل الثاني في المعاملات ،وعدد أبوابه مائة وستة عشر بابا .والفصل الثالث في الأحوال ،وعدد أبوابه ثمانون .والفصل الرابع في المنازل ،وعدد أبوابه مائة وأربعة عشر .والفصل الخامس في المنازلات ،وعدد أبوابه ثمان وسبعون .والفصل السادس في المقالات ،وعدد أبوابه تسع وتسعون ،ومجموعها خمسمائة باب ،وستون بابا ،وفي كل باب من هذه الأبواب غالبا فصول ووصول ،ومسائل وعلوم ،لا فائدة في تعدادها بدون التعرض لما انطوت عليه ،مما لنا الصام بمعرفته ،وما نقصر عن ادراكه ، وانما مقصودنا ذكر ما نتحقق به من اصطلاح هذه الرسالة .أما العلوم التي يذكر أسماءها الشيخ الأكبر داخل الأبواب المذكورة فهي كثيرة .وقد ذكر عن بعض أهل العلم بالله أن أمهات العلوم من علوم الآداب التي يحويها الامام المبين تنحصر بالعد في (129600)من ضرب درجات في نفسها .وكل نوع يحتوى على علوم جملا .وذكر القطب الشعراني منها في تأليفه المعنون (بتنبيه الأغبياء)واحدا وسبعين ألف علم ،وقد أخبر عن نفسه أنه ألقاه في اليم حين خطر بباله قصور الهمم عن ادراكها حسبما

حسبما تعرض لذلك في تأليفه (ارشاد الطالبين) الذى ذكر فيه من أمهات العلوم المحمدية أربعمائة علم وأحد عشر علما سردها فيه واحدا واحدا، ولا شك أن كل علم له اصطلاح خاص به بما يتميز كل فرد منها في مباديه العشر عن غيره، خلافا لمن يفهم من علماء الظاهر أن هذه العلوم انما هي مسائل، سميت علوما بما جرأته وقاحته على أن يقول فيها ما تقوله العامة فيما لا طائل تحته، بكثرة العد، وقلة القبض. ولو استفهم عن ذكر عشرين مسألة من تلك العلوم، ورد كل مسألة الى علمها لتعتم وهمهم، وكاد أن يغص عليه من الغم والهم، وحسب المتضلع من العلوم المصطلح عليها، وقد سردنا بعضها في غير هذا التوليف، أن لا يتعدى البعض منها مما جمع في قول القائل:

صرف بيان معان النحو قافية   قرض عروض اشتقاق الخط انشاء
محاضرات وثاني عشرها لغة   تلك العلوم لها الآداب أسماء

ولو ذكرنا أسماء تلك العلوم التي قد ذقنا حلاوة بعضها، وحصرنا عن الخوض في الجل الباقي منها لطال بنا وقت تتبعها في احصائها بحصرها في عددها. ولنقتصر هنا على الاحالة اليها في داخل الفتوحات، ولربما أفضنا القول في البعض منها مما لنا المام بمصطلاحه طبق ما أشرنا اليه، ولمن أراد أن يزن معلوماته في جانب ما ذكره الشيخ الأكبر وأشار اليه، فليراجع ذلك داخل الكتاب، وليطرق كرى ان كان منصفا بالقاء السلاح بين يدى العارفين، وليتحقق بأن الفتوحات مما يكاد العارف بها أن يقول في حقها: ان الصيد كله في جوف الفرى:

فقد أتى الحاتمي بالمعجزات من السفتوفعان في طي هذه الفتوحات
أبان فيها عن الأسرار فابتهجت   بها النفوس التي تنفي الجهالات
فضاء في وجه من يدرى الفضاء بها   وعنه قد كشفت كل الضلالات
أما الجهول بها أو من تجاهله   فيها فيكفيه حرمان الكرامات
والمنكرون لما انطوت عليه فقد   ضلوا عن الحق في تلك العبارات
قد أولوها على ما يفهمون وهم   بفهمهم لم يروا وجه الحقيقات
ورب صاحب فهم في مناضلة   عن فهمه لا يرد بالهراوات
ولو رأى الحق حقا فهو يجحده   وكم وكم فيه يبدى من تراهات
وبالتعصب للفهم السقيم بلا   شك تضيع حقوق في البريات
والمنصفون لهم في الخلق منقبة   يرون ما لا يراه الجاحد العاتي
سلهم عن الحاتمي ومن له شهدوا   بالفضل والعلم في أهل المقامات
فكم امام له أدى شهادته   بأنه الختم في أولي الولايات

وما نذكره في هذا التوليف من مثل هذه الابيات فهي من النفحات التي تهب علينا بارتجال، من غير تكلف في المقال، من حضرة الشيخ الأكبر ونفسه الأعطر، بواسطة شيخنا الختم التجاني، الذى اتخذناه واسطة في الاستمداد

الاستمداد من ينبوع المعارف عليه السلام. ولولا الزام الوارد لنا بكتب هذه الابيات ونحوها ما ذكرناها، وان كانت مرغمة لأنوف المنكرين والمتشعبذين ولا حول ولا قوة الا بالله. وها أبيات أخرى نوردها على ما هي عليه طبق ايراد الوارد لها علينا، نصها:

لا أقبل الانكار من أحد — لو يكن الوالد أو ولدى
أستغفر الله ان أبني — منزه عن منكر المعتدى
وولدى ان بان انكاره — أخرجته والله من خلدى
هو أعز الناس عندى وما — أرضاه ان مال لمنتقد
وهل أنا أقبل منتقدا — ولست أرضى غير معتقد
وحق من أوجدني انني — لست أرى المنكر بالمهتدى
بل هو ضال في هواه ارتدى — ردا الردى فهو الردى المرتدى
وكيف لا والله حارب من — آذى ولينا من ذوى الرشد
والأوليا كلهم أهله — أحبهم حبا بلا أمد
فارفع لهم شأنا فشانئهم — أبتر في الدارين لم يحمد
والحق قد عظم شأنهم — برغم أنف المعتدى الطحد
فاشهد بحبي لهم في الورى — فان حبي دام للأبد

وأبيات أخرى من هذا النفس:

رأيت الجاهلين أشد نكرا — على من باح بالاسرار سرا
وأما من يفاخر باح جهرا — ففيها أكثروا في الهجر هجرا
سعى في نفعهم وسعوا في — مضرته بها سرا وجهرا
ولكن عاد نكرهم عليهم — بما لم يحسبوا دنيا وأخرى
فواها ثم واها ثم واها — لهم قد ضيعوا في النكر عمرا
وحسبهم من الحرمان منهم — بأنهم لقوا في الدين خسرا
فلم تر منهم الا مصابا — على العصيان بينهم مصرا
كفاه بأنهم قاموا بحق — بأكمل حالة نهيا وأمرا
وقام بغيضهم فيما يعاني — بانكار لما قد ضاق صدرا
وعاقبة النكير عقوبة في — حياة منه فيها ذاق مرا
فيا لله ما يلقاه دنيا — وما يلقاه أخرى أين مرا
ولم يخرج من الدنيا بخير — ويدخل في أشد الحال قبرا
وان يسلم أخو النكران يوما — فلا تعجب له ان يات شرا
فمؤذى الاولياء أقام حربا — على مولى عليه قد تجرا
فليس له مجير منه مما — على النفس الخسيئة منه جرا
وكم من منكر قد خف عقلا — وكاد بالانتقاد يطير كبرا
يظن بأنه في العلم بحر — وفي الجهل المركب ضل بحرا
فلا يعجبه مكر بالموالي — فان الله منه أشد مكرا

الكلام

الكلام في اصطلاح الشيخ الأكبر فيما نسج على منواله في الفتوحات المكية وغيرها

اعلم أن الشيخ الاكبر ـ قدس سره ـ يعتمد فيما يتكلم به في مؤلفاته ويعمل بمقتضاه في سلوك طريق تحقيقاته، وما يظهره مما أفاضه الحق عليه من عرفانه وفيوضاته، وما يكتمه من الاسرار التي استفادها من بعض التجليات التي تجلى بها عليه الحق في حضراته، وغير ذلك مما يتضح في تصريحاته، مما شاراته. ولنشر الى شيء مما شربنا منه مشرب تحقيق، بتتبعنا لما وقفنا عليه من مؤلفاته، وما استفدناه من بعض شيوخنا في طريق السلوك، حتى تبين لنا بحمد الله ما لم يظهر فيه وجه الحقيقة مبتسما لغيرنا، مثل ما ظهر لنا عند ما خضنا في بحره العميق، بين من لم يسلك معه في محجته البيضاء لدينا من بين بنيات الطريق، فهو أولا يعتمد على الكتاب والسنة، وما يرجع اليهما من كلام الأئمة، الذين يعتمد عليهم علماء الظاهر مما يبلغه عنهم من أقوال، وأفعال وأحوال، مما يراه منهما موافقا لما تمسك به في سلوكه الى الفتح عليه، بما قرره من الفتوحات في فتوحاته المكية وغيرها. ثانيا يعتمد على اجتهاده فيما فتح به عليه مما يوافق مشربهم، أو يخالفهم فيه ظاهرا أو باطنا، بحيث تجده غير متقيد بمذهب، بعد ما كان متقيدا بالمذهب المالكي في الفقهيات، لكونه مغربيا، وأهل المغرب في القديم كلهم مالكية فيما هو معروف عنهم الا فيما كان من بعض الأفراد المنفردين في بعض المسائل التي اجتهدوا فيها، فهو رضي الله عنه يعتمد في ذلك على اجتهاده، المتوصل به لمراده، في طريق رشاده. ثالثا: يعتمد على كشفه الذى انكشف له فيه وجه الحقيقة المتجلية في حضرات الحق، مما لا يقبل فيه تشكيكا، ولا يبالي بما يشك فيه غيره، ممن لم يذق من رحيقه المختوم، وقد يقف بعض المنتقدين عليه في بعض ما صدع به، مما أمر بالصدع به من مقالاته على البعض منها، مما ذكره في بعض التقريرات، غير مقيد بما قيده في غير المحل الذى وقف عليه المطالع المنتقد عن غير تأن، وهو يعلم أن الكتاب يقيد بعضه بعضا، الا أنه لم يرد بباله لما ذكره المؤلف مما قيده به في ذلك الموضع الذى ضاقت العبارة عن الاتيان به فيما خلا عنه بقصد منه وبغير قصد في نحو الرموز التي يرمز بها عليه لغرض من الأغراض.

زيادة ايضاح فيما جرى عليه الشيخ الأكبر مما له في مؤلفاته من الاصطلاح

ان الشيخ الاكبر ـ قدس سره ـ يخوض في كل فن من الفنون التي يتعرض لها مع أهلها بما لا يتعدى فيه قاعدة من قواعدهم، الا فيما يزيد فيه ايضاحا لما غفلوا عنه، حتى تظن أنه أعلم بكل فن من أهل ذلك الفن، وربما اكتفى في التبيان عما يتعلق بفن بما هو مقرر في ذلك الفن، فيتكلم بلسانهم، معرضا شرح ما يحتاج لشرح في ذلك. وهاكذا الشأن

الشأن في فحول العلماء الذين يتكلمون في الأمور العويصة مع المبتدئين، ظانين أن العامة يعرفون قواعد الفن الذى تكلموا فيه بلسانهم ودون فهم ما أعربوا عنه خرط القتاد، حتى انه ربما أدى العامة الى فهم غير المراد، مما ينشد في حق المنتقد عليهم فيه قول القائل:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ولربما تكلم في مسألة في فن باصطلاح فن آخر لا يفهمه المنتقد مثل التضمين في العروض والبديع والفقه، ولم يشر الى أهله، ليتميز عند الجاهل به. وهاكذا شأنه فيما يجول فيه في المجال الفسيح بالاستطرادات بتصريحات وتلويحات، مما يدع قصير الباع مبهوتا عند سماعه، ولا يدعي الوصول الى غايته من زاحم غيره في اطلاعه، فهو كلما كرر النظر في مراجعة ما سطر يقف على معنى بديع، ومعاني جديدة المعارف تتجدد لدى العارف فيما هو من بحر عرفانه غارف. ولا أتأسف الا على من رزقه الله فهما متنورا لا يخوض فيه بالتسليم لما كشف الشيخ الأكبر عنه النقاب، ووقف بالاعتراض عليه من وراء الحجاب، وأنى للمنكر أن يفتح في وجهه الباب،

فتح باب الفتوحات المكية على مصراعيه
لمن أراد الدخول لروضاتها اليانعة
والاقتطاف من ثمارها النافعة

من طالع الفتوحات بقلم سليم وجد مؤلفها – قدس سره – تكلم على اصطلاحه فيها، بحيث يجد المطالع مفاتيح لما أغلق من عباراته في أبوابها، لكل باب مفتاحه فيه، أو فيما قبله، أو فيما يليه، فلا يخلو مغلق المباني فيها من مفتاح المعاني التي يبديها ويحييها. وسنورد منها مفاتيح منها لمن يلقي السمع وهو شهيد على ما نقول بمواجعته في أماكنه في الأبواب والفصول والوصل المتفرقة في هذا التأليف بحول الله، وما لي في ذلك الا النقل، والحاق الفرع منها بالأصل، حتى يتضح ذلك لصاحب العلم والعقل، ولا يحتاج صاحب الفتح في التحصيل منه على المقصود لمعاناة استعمال فكر فيه، لسهولة الأمر عليه فيه. وقد ألحقنا بما تكلم عليه من اصطلاحه ما يعد تعليقا موضحا لما عسى أن يكون صعب التناول لتحصيل معناه على وفق ما فتح به الحق على عبده فيه، وربما نقلناه باللفظ، ليجول فيه المطالع بفكره، فيعوم في بحره الواسع المتلاطم الأمواج، سواء وقفت بنفسي فيها على الساحل بالمجاوزة للساحل المقابل، أو لم أخض تيارها لقصوري عن الوصول اليها، فاني معترف بالعجز عن جل ما بسط الشيخ الأكبر فيه بساط عباراته، فضلا عما اختصر فيه الكلام اختصارا، من جوامع الكلم التي تحتاج الى مزيد اعتناء بالشرح المبين لما انطوت عليه، ولا تفهم الا بفتح، وأنى لنا به في كل ما يتوقف عليه فيه.

لقد خضت من علم الحقائق أبحرا وأخرجت من مكنونها ما تيسرا

وزاحمني

وزاحمني غيرى فصرت مقدما ... عليه ومن زاحمته صار من ورا
ولا عجب ان كنت فيهم مفاخرا ... على كل ذى فخر علي تكبرا
اذا لم أقم في الشكر بالفخر لم أكن ... مؤدى حق الشكر في سائر الورا
وما نعمة الا وتطلب حقها ... من الشكر في سر وجهر بلا مرا
دعوني أسلي النفس مني بالهنا ... هنا بالذى نافست فيه ذوي الذرى
ومن ذكر النعماء باهى بنفسه ... بها وعلا فيها على من تأمرا
وما ازددت في قومي عظيم تظاهر ... بها بينهم الا وزدت تسترا
كأن الذى بالسر باح ببوحه ... لديهم عليه السر يرخى فلا يرى
ولو لم أكن أبديت سرى بينهم ... لكان اكتتامي بينهم لي مظهرا
فرحت بنفسي بينهم وأرحت من ... معاناتهم نفسي على وفق ما جرى
فمن خاض في علم المعارف بينهم ... أقاموه فيما بينهم موقف السرى
ولست أبالي أن أبالغ في الذى ... لسائرهم بلغت ما كنت منكرا
ليأخذ عني ما لغيرى مواخذ به ... وعليه القلب فيه تغيرا
فيفهم عني ما تعذر دركه ... عليه زمانا لم يكن متيسرا
وما قلت هذا بالتبجح بينهم ... لأغراض نفس أمرها قد تعذرا
ولكن لسر رمت افشاءه لدى ... مريد يه حقا ما السوى عنه عبرا
ليحملني فيه على الفخر منكر ... اذا شاء وليجعله ان شاء منكرا
فما عنده أرجو مكافأة على ... صنيعي له فيما لدى تقررا
ولله قد فوضت أمرى كله ... وما لي التفات للسوى أبدا يرى

اا ت ب	م	نار	
د	ش	ه	
ث	غ	و	ك
ج	ط	خ	ب
ل	ح	ظ	س
خ	ص	ذ	ر
ه	ب	ع	ج
د	ف	ز	ي
ن	ق	ض	ل
م	ظ	و	ق

حروف الحق ناشئة عن الأفلاك السبعية :
حروف الانس عن الثمانية
حروف الملك عن التسعية

حروف

حروف الجن عن العشرية .انظر صحيفة 71
بسائط المحققين على ست مراتب
مرتبة الملك الحق سبحانه ن بسائطها دورة فلكها 82 الف سنة.
ولفظة (فلك) الواو الفلك الكلي في عشرة آلاف سنة.
المرتبة الثانية للانسان ولها حرف الميم بسائطها
المرتبة الثالثة للحق ،لها حروف ج وك ق
المرتبة الرابعة للبهائم ،لها من الحروف: د ز ص ع ض س ذ غ ش
المرتبة الخامسة للنبات ،لها من الحروف ا هـ ل
المرتبة السادسة للجماد ،حروفها: ب ح ط ى ف ر ت ث خ ظ .الكلام
على هذه البسائط في صحيفة 72